ثمود

أصحاب الحجر

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٧٣].

وقال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الحجر: ٨٠].

وثمود اسم لقبيلة من العرب، سكنوا الحجر شمال الحجاز، امتدادًا لجبال السروات غرب الجزيرة العربية، على طريق قوافل التجارة بين اليمن والشام ومصر، وكانوا بعد قوم عاد مباشرة، وقد كفروا وعتوا، فبعث الله إليهم نبيًّا منهم، هو صالح يدعوهم إلى توحيد الله.

مدائن صالح

الحجر - العلا - جزيرة العرب

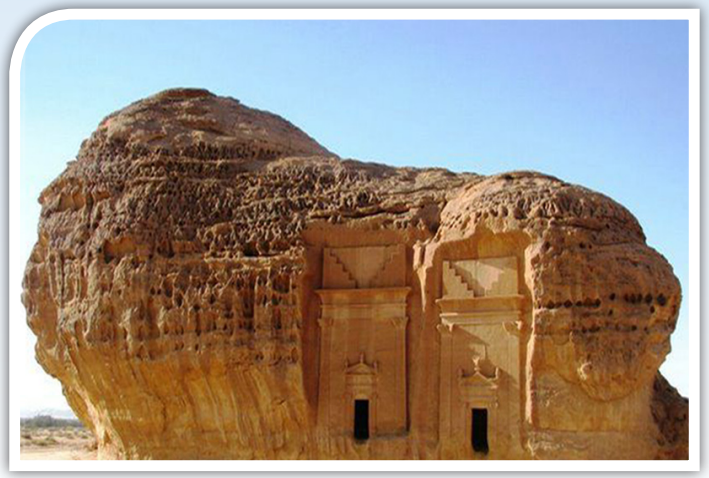

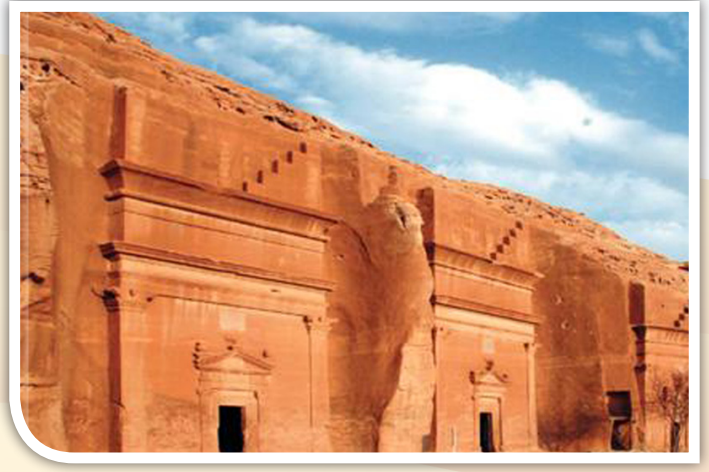

ويرتبط ذكر قوم عاد بقوم ثمود، وتكرر في القرآن الكريم؛ لأن القومين من أصل واحد من العرب، وللتسلسل المباشر والمتقارب بينهما، ولأخذهما بالعذاب؛ لكفرهما وعصيانهما.

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ﴾ [الحاقة: ٤].

﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ [فصلت: ١٣].

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ﴾ [إبراهيم: ٩].

﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ﴾ [الحج: ٤٢].

﴿مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ﴾ [غافر: ٣١].

﴿وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٨].

﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ﴾ [التوبة: ٧٠].

وقد أطيل في أعمارهم، فاتخذوا من الجبال بيوتًا: ﴿ وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴾ [الحجر: ٨٢].

وصالح يدعوهم، فلم يتبعه إلا قليل مستضعفون، فلما ألح عليهم بالدعاء والتحذير والتخويف، سألوه بالتحدي أن يخرج لهم من الصخرة آية، وأن تكون ناقة عشراء، فإن تم ذلك صدقوه، فلما خرجت الناقة خرج معها سقيا مثلها في العظم، فكان لها شربها يومًا، ولهم شربهم يومًا، ولكنهم بعد تلك المعجزات كفروا به وبرسالته، وتواعدوا بقتل الناقة، فحذرهم صالح ألا يعقروها، لكن سولت لهم أنفسهم قتلها حسدًا: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴾ [الشمس: ١٤].

ولما بلغ الخبر صالحًا، ورأى الناقة بكى، وقال: ﴿ تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ۖ ﴾ [هود: ٦٥].

وبعد ثلاثة أيام كان هلاكهم في موطنين:

الرجفة: أتتهم من أسفل منهم: ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴾ [الأعراف: ٧٨].

الصيحة: أتتهم من السماء: ﴿ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ۗ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَا۟ كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴾ [هود: ٦٧-٦٨].

قال رسول الله ﷺ وهو في طريقه لغزوة تبوك مرورًا بالحجر: «لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين، إلا أن تكونوا باكين، فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم، أن يصيبكم مثل ما أصابهم» .

من جميل ما ورد في تفاسير القرآن الكريم في معنى قوله تعالى : ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا﴾ [الشمس: ١٤] كان بالجمع في مفردات الكلمات الآتية : (فكذبوه - فعقروها - عليهم - ربهم - بذنبهم) وهذا يعود بالجمع على رضا جميع أفراد قبيلة ثمود كبيرها وصغيرها ذكرها وأنثاها بالفعل الذي تعاهد عليه التسعة رهط من القبيلة بقيادة أشقاهم الذي ذكره رسولنا الكريم ﷺ بأحيمر ثمود، ويقال: إن اسمه قدار بن سالف، وبهذا الرضا عن الفعل، فقد تساووا في الذنب جميعًا : ﴿فَسَوَّىٰهَا﴾ والضمير هنا يعود إلى الأقوام، وليس الديار، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ذكرشخصهم وصنيعهم، فكان عذابهم في أجسادهم بأن ساواها مساواة بالذنب ومساواة بالأرض بالصيحة والرجفة.

وهذا ما يؤكد عدم صحة نظريات وتكهنات المستكشفين والباحثين القائلين: إن مدينة قوم ثمود قد دمرها الله، وساواها بالأرض، وقد طمرت بمرور الزمن، وإن هذه المباني القائمة ما هي إلا مباني حضارات تتالت على المنطقة بنيت على أنقاض مدينة الحجر البائدة.

ويؤكد ذلك حديث رسولنا الكريم ﷺ عندما مر بها في طريقه إلى غزوة تبوك في قوله ﷺ: «**لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين**» فهو الصادق المصدوق بما يثبت أنها غير مدكوكة ومطمورة، وأن هذه المباني لأقوام غيرهم.

الحضارات التي سكنت، وتتالت على منطقة الحجر:

الثمـوديون: في الألفية الثالثة قبل الميلاد.

اللحيانيون: ٩٠٠ - ٢٠٠ قبل الميلاد.

الأنبـــاط: ٣١٢ - ١٠٦ قبل الميلاد.

تُعدّ جبال منطقة الحجر من الصخور الرملية المتحجرة مع مرور الزمن بعد انحسار المياه التي كانت تغمر الجزيرة العربية، وكانت في زمن ما قاع بحر.